الوسيلةُ المعظَّمة
المجرَّبةُ لتفريـج الهموم
وكشفِ الكروبِ والغموم

تائيةٌ توسليةٌ مباركةٌ من نظم
الإمام العارف بالله محمد بن زين بن سُمَيط
١١٠٨-١١٧٢هـ
رحمه الله تعالى

قدّم لها بمقدمةٍ تاريخيةٍ مهمّة
محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب

كلمةُ الناشر

الحمدُ لله الموفّق للخيرات، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّه سيّد البريّـات، وآله وصحبه والتابعين.

وبعد،

فهذه قصيدةٌ تائيةٌ مباركة، نظَمَها إمامٌ جليل، وعارفٌ نبيل، هو العلّامةُ السيّدُ جمالُ الدين محمدُ بن زَين بنِ سُمَيط، رحمه الله تعالى، نظمَها في واقعةٍ ألـمّتْ بأهل الإسلام في مدينة شِبامَ بحضرموت، في القرنِ الثاني عشَرَ الهجريّ، واتّخذ الناظمُ والناسُ معه من هذه القصيدةِ دعاءً وتوسُّلاً يجأرونَ به إلى الله تعالى ليسلِّم أرواحَهم وديارَهم وأبناءَهم وأموالَهم من فتْكِ عادٍ عدا على البلاد، فاستجابَ الله دعاءَهم وضراعتَهم، وردّ كيدَ الأعداء في نُحورهم. ثم ذاعت تلك التائيةُ التوسُّليةُ وصارتْ تُتلى في النوائب وفي غيرها، وهيَ من الآثار الطيِّبة في تراث الديارِ الحضرمية.

وقد قامَ قسمُ البحثِ العلميّ بدار الفتح للدراسات والنشر بتحقيق نصِّ هذه القصيدةِ على عدةِ أصولٍ خطية، ثم رَغِبَ إلى الأستاذ البحّاثة محمد بن أبي بكر باذيب، حفظه الله تعالى، في كتابة مقدمةٍ تاريخيةٍ تُحيط بالظروفِ والملابساتِ التي نُظِمَتْ فيها ولأجلها القصيدةُ المذكورة، وتبيِّنُ مكانتها في تراث حضرموت، فتفضّل مشكوراً بذلك.

نسألُ الله تعالى أنْ ينفعَ بهذه القصيدة، ويتقبّـلَ منّا هذا العمل، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

الناشر

عمّان
٢٣ ذو الحجة ١٤٢٩هـ
الموافق ٢١/ ١٢/ ٢٠٠٨م

بين يدَي الوسيلة

بقلم: الأستاذ محمد بن أبي بكر باذيب[*]

أدبيات التوسل:

يوجد في تراثنا الإسلامي العديد من التوسليات الشهيرة، والكثير من القصائد الاستغاثية، منها ما نالت شهرة فائقة على مستوى العالم الإسلامي، كقصيدة المنفرجة لابن النحوي، يوسف بن محمد التوزري (ت ٥١٣هـ)، التي مطلعها:

اشْتـدِّي أزمَـةُ تَنفَرِجـي ... قـد آذنَ ليلُـكِ بالبَــلجِ

حتى إنها شُرحت من قبل بعض كبار علماء المسلمين، كشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) في شرحه الشهير المسمى «الأضواء البهِجَة في إبراز دقَائق المنفرجة»، ومختصره المسمى «فتح مفرج الكروب»، وبلغ عدد شراحها (٢٤ عالماً) من مختلف المذاهب والبلدان، وبلغ مشطِّروها ومخمِّسوها ومضمِّنوها ومعارضوها (٢٠ أديباً) من شتى البلدان والأصقاع[1]. هذا في قصيدة واحدة، وقل ما شئتَ في نظائرها.

وللفائدة والعلم، فهناك «منفرجة» أخرى نظمت في زمنٍ مقاربٍ لزمن «منفرجة ابن النحوي»، هي «منفرجة حجة الإسلام الغزالي» الإمام الكبير أبي حامد (ت ٥٠٥هـ)، مطلعها:

الشدةُ أودَتْ بـالمهَجِ ... يَا ربِّ فعَجلْ بالفرَجِ

(*) باحثٌ مختصّ في تاريخ حضرموت وتراثها. (الناشر).

(١) انظر للفائدة: «جامع الشروح والحواشي» للحبشي ٣: ١٩٠٢-١٩٠٧.

منها عدة نسخ خطية، وذكرها عبدالرحمن بدوي في «مؤلفات الغزالي» ص ٢٩٦، وشرحها أربعة من علماء القرن الثاني عشر، هم: الشيخ عبدالغني النابلسي (ت ١١٤٢هـ)، والشيخ إسماعيل العجلوني (ت ١١٦٢هـ)، والشيخ مصطفى البكري (ت ١١٦٢هـ)، وابن كنان الحنبلي (ت ١١٥٣هـ)[١].

ومن التوسليات اليمنية الذائعة الصيت: غارة الإمام الكبير الشيخ أحمد بن موسى ابن عجيل (ت ٦٩٠هـ)، التي صارت من أوراد بعض السالكين، وصارت أبياتها على كل لسان، ومطلعها:

إن أبطأتْ غارةُ الأرحامِ وابتعدتْ	فـــأقربُ شيءٍ منَّـــا غـــارةُ الله
يا غـارةَ الله جُـدِّي الـسيرَ مـسرعةً	في حـــلِّ عقـــدَتنا يـــا غـــارةَ الله

إلى آخرها، (في ٤٢ بيتاً)، تردد فيها طلب الغارة، فلذا سميت بـ«**غارة ابن عجيل**»[٢].

ومنها: لامية محمد بن علي بن عمر الضمَدي (٨٨٣-٩٩٠هـ)، مؤسس هجرة ضمد، وجدُّ قبيلة كبيرة منتشرة في بلدان المخلاف السليماني، ومطلع لاميته:

إن مسَّنا الضرُّ أو ضاقَت بنا الحيـلُ	فلـــن يخيـــبَ لنـــا في ربنـــا أمَـــلُ
وإن أناخـتْ بنـا البلـوَى فـإنَّ لنـا	ربـــاًّ يحولهَـــا عنـــا فتنتقـــلُ
مـن ذا نلـوذُ بـه في كـشفِ كُربتنـا	ومـن عليـه سِـوى الـرحمنِ نتكـلُ
اللهُ في كـلِّ خَطـبٍ حـسبُنا وكفَـى	إليـــه نرفـــعُ شَـــكوانا ونَبتهـــلُ

---

(١) ينظر للمزيد: «جامع الشروح والحواشي» للحبشي ٣: ١٩٠٧-١٩٠٨.

(٢) اعتنى بها ونشرها كاملة عن مخطوط نادر، الدكتور عبدالله أبوداهش، سنة ١٤٠٦هـ، ضمن سلسلة تراث علماء جنوبي الجزيرة العربية، الإصدار (٤). أما البيتان الأولان فهما من الشهرة بمكان.

وكان ارتجلها في خطبته بعد صلاة الاستسقاء بضمد، في سنة سميت بسنة (أم العظام)، حيث أكل الناس فيها العظام من شدة الجوع، وذلك سنة ٩٧٣هـ، قيل: فما استتمها حتى أغاثهم الله بوابل من المطر فشربوا وسقوا[١].

وعلى صعيد الأدب الحضرمي:

تبرز أمامنا عدد من القصائد التوسليات، من أقدمها: نونية الإمام فخرالدين أبي بكر بن عبدالله العيدروس (ت ٩١٤هـ)، الشهير بالعدني لوفاته بثغر عدن الشهير، وهذه النونية سائرة الذكر، شهيرة بين أهل حضرموت، بل البعض منهم جعلها ورداً يومياً له، وللناس فيها يعشقون مذاهب، ومطلع هذه النونية:

ببسْم الله مولانَا ابتدينا ... ونحمدُه على نَعماه فينَا
توسَّلنا به في كُلِّ أمرٍ ... غياثِ الخلقِ ربِّ العالمينَا

وقد اعتنى بها وشرحها صاحبه الشيخ العلامة محمد بن عمر بحرق (ت ٩٣٠هـ) دفين كجرات من أرض الهند الغربية، وشرحه هذا ضمن مؤلَّفِه الذي أفرده لترجمة الناظم العيدروس ومناقبه المسمى «**مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس**»[٢].

ولم تشتهر أشعارُ أحدٍ من علماء حضرموت بعد زمن العيدروس العدني كما اشتهرت أشعار إمام عصره، ومفخرة مصره، مجدد الدين ومحييه في المخلاف الحضرميّ، مولانا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد (ت ١١٣٢هـ)، نفع الله به، وهو شيخ وأستاذ الحبيب محمد بن زين، ناظم هذه «**الوسيلة**» المباركة.

---

(١) ينظر: «الحياة الأدبية في تهامة»، للدكتور عبدالله أبوداهش.

(٢) طبع هذا الكتاب ضمن مجموعة سميت بالمجموعة العيدروسية، بإمارة أبوظبي، في طبعة سقيمة مليئة بالتصحيف والتحريف، ووقفت على نسخة خطية منه.

فإن الإمام الحداد كان قائداً ومرشداً لأعظم حركة إصلاحية في عصره، أرشد الناس، ووعظهم وذكرهم، وصنف المصنفات السائرة، وكاتب العلماء والسلاطين فمن دونهم في إصلاح ما تحت أيديهم من شئون البلاد والعباد، وأقبل عليه طلاب العلم من كل حدب وصوب. وله الشعر العذب الممتنع السهل، الذي سارت به الركبان.

كقصيدته العظيمة التوحيدية الخالصة، المسماة «النفحة العنبرية في الساعة السَّحَرية»، نظمها عام ١٠٧١هـ، ومطلعها[١]:

يـــا ربِّ يـــا عالـــمَ الحـــالْ	إليـــكَ وجَّهـــتُ الآمـــالْ
فـــامنُن علينَـــا بالاقبـــالْ	وكُـــن لنـــا واصـــلحِ الحـــالْ

وهي قصيدة أكثر من رائعة، تقع في (٢١ مقطعاً)، ولم يزل الناس في بلدان حضرموت قديماً وحديثاً يرددون أبياتها في منازلهم ومساجدهم وطرقاتهم، ويترنم بها السراة في جنح الليل، وتنشدها ربات الخدور، فتنشرح بها منهم الصدور، ويزدادون بها نوراً على نور. واعتنى بها وشرحها تلميذه الأود المخلص الحبيب محمد بن زين بن سميط، وسمى شرحه: «الكواكب الدرية شرح الأبيات الحدادية المسمّاة بالنفحة العنبرية في الساعة السحرية »[٢].

ولسيدنا الإمام الحداد قصائد كثيرة من هذا النوع، بل منها ما جُرِّب إنشاده في أوقات الجدب، كنوعٍ من أدعيةِ الاستسقاء، من ذلك: توسليته النبوية الفريدة، التي مطلعها[٣]:

---

(١) «ديوان الإمام الحداد» ص٤٤٢-٤٤٥.

(٢) وهو من إصدارات (دار الفتح للدرسات والنشر) بالأردن، اعتنى بتحقيقه قسم البحث العلميّ بالدار، وقرأه وقدّم له الأستاذ إياد الغوج، حفظه الله.

(٣) «ديوان الإمام الحداد» ص٣٧٦-٣٧٨.

يــا رسُــولَ الله يــا أهــلَ الوفــا | يا عظيمَ الخلقِ يـا بحـرَ الـصَّفا
أنــت بعــدَ الله نعــمَ المرتَجــى | واللجَا يـا مجتبـى يـا مُـصطفى

إلى آخرها (٤٠ بيتاً)، وتاريخ إنشاء هذه القصيدة: في شهر جمادى الأولى من عام ١٠٧٢هـ، وكان من آثارها أن سقى الله العباد والبلاد سقياً عاماً في نفس الشهر الذي أُنشئت فيه، وكان من عادة الإمام الحداد أن يرتب قراءتها في سني القحط كل ليلة بعد درسه اليومي، إلى أن يحصل الفرج.

وله قصيدة توسلية رائية (في ٤٧ بيتاً)، نظمها في شهر رجب سنة ١١١٥هـ، بعد أن أبطأ المطر والغيث، وزاد القحط في البلاد، ومطلعها(١):

يــــــا رحمـــــــةَ الله زوري | وأنعِمـــــــــي بحُـــــــضُورِ
ويمِّمـــــي سُـــــوحَ قَـــــومٍ | في ضـــــنك عـــــيش مَريــــرِ
إنــــــا مَـــــــددنا يَــــــدَينا | إلى الـــــــرَّحيم الغفُـــــــورِ

ونقل الحبيب محمد بن زين بن سميط عن شيخه الإمام قوله: «إنا جربناها لحصول المطر، والتي قبلها: (يا رسول الله) لحصول الرحمة الباطنة أكثر»، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

(١) «ديوان الإمام الحداد» ص٢٨٧-٢٩٠.

فذلكة تاريخية
حول الأجواء السياسية المشحونة
التي نُظمَتْ فيها هذه القصيدة

جاء في كتاب «مجمع البحرين» للشيخ الفقيه معروف بن محمد باجمّال، عند ذكره لهذه القصيدة، وأنّ سببَ إنشائها: «وصول الفئة الباغية إلى حضرموت، ومقدَّمهم البياضي خبيث المعتقد، حسن بن هبة الـمَكْرُمي، من جهة اليمن ومعه نحو أربعة آلاف، ومحطّهم تحت شبام، وحصرها وقطع السبل، ... وكان وصولهم في شهر شوال ودام الحصار إلى آخر شهر عاشوراء»[1].

ذلك ما ذكره المؤرِّخ الجليل، ولم نجد في تواريخ حضرموت العامة من اعتنى بذكر هذه الحادثة السياسية الدينية أحد، سوى نتفٍ في بعض كتب المناقب، أو خبر من الأخبار العابرة لمناسبة تعرض، أما كبار المؤرخين فقد مروا عليها مرور الكرام، بل لم يشيروا إليها لا من قريب ولا من بعيد. لذا رأينا لزاماً علينا في هذه العجالة، أن نعرّج على ذكر هذه الحادثة التاريخية، إتماما للفائدة، وسداً للفراغ والنقص الحاصلَين.

طائفة المكارمة الإسماعيلية:

المكارِمة جمع مَكْرُمِي، بفتح الميم الأولى وسكون الكاف وضم الراء فميم فياء النسبة، ينسبون إلى القضاة بني المكرمي، قومٌ يسكنون مدينة (نجران) المعروفة اليوم.

(١) «مجمع البحرين» ص٤٦٥ (مخطوط).

وكانت ديارهم قبل أن يسكنوا نجران بوادي (ضهر) بموضع يسمى (طَيبة)[١] قريباً من صنعاء، إحدى المتنزهات لأهالي صنعاء، وكانت قديماً ذات أنهار ورياض وأفنان. ومما جاء من الأدبيات في وصف (طَيبة) وأفنانها، ما أنشده إبراهيم بن صالح الهندي (ت ١١٠١هـ)، أديب صنعاء في عصره، مخاطباً الإمام المؤيد بالله[٢] محمد بن المتوكل إسماعيل (ت ١٠٩٧هـ):

أعزَّ الهدَى مذ حزتَ بالأمسِ طَيبةً ... تدانت لها شهبُ السَّما وهي سُجَّدُ
وأصبحَ واديها ينادِي ذوي القِرى: ... هلمُّوا فهَذي طيبةٌ ومحمَّدُ

والقضاة بنو المكرُمي؛ قيل: بنسبتهم إلى سيف بن ذي يزن، كما نقله القاضي عبدالرحمن البهكلي (ت ١٢٤٨هـ) عن بعضهم، قال: «والمرء مصدَّقٌ في نسَبه كما قيل»[٣]، مشيراً إلى عدم ارتياحه إلى تلك النسبة، والله أعلم.

تحول المكارمة إلى نجران، وأشهر دعاتهم:

ذكر بعض المؤرِّخين: أنه في عهد الإمام المهدي لدين الله[٤] محمد بن أحمد بن الحسن (ت ١١٣٠هـ)، الشهير بصاحب «المواهب»، كان تحول المكارمة من وادي ظَهَر

---

(١) قال شيخ شيوخنا القاضي محمد الحجري في «مجموع بلدان اليمن» ٢: ٥٦٠: «طيبة: قلعة مشهورة بوادي ضهر، من ناحية همدان صنعاء»، انتهى. وقال الأستاذ المقحفي في «معجمه» ١: ٩٦٨: «**طيبة**: بلدة مطلة على قرية القابل من الجهة الغربية، ترتفع عنها بنحو ألف متر. وهي منطقة حصينة ... اتخذها المطهر بن شرف الدين قاعدة لصد هجماته ضد فيالق الاحتلال التركي، **كما اتخذتها الباطنية مركزاً لها». انتهى.**

(٢) ينظر: «أعلام المؤلفين الزيدية» ص٨٧٢.

(٣) «خلاصة العسجد» للبهكلي ص٢٣٧. وعليه: فما ورد في كتاب «معجم البلدان والقبائل اليمنية» لإبراهيم المقحفي ٢: ١٦٢٣ غير دقيق، ويحتاج إلى تحرير.

(٤) ينظر: «أعلام المؤلفين الزيدية» ص٨٤٠.

إلى نجران، «وذلك لأمور أنكرها عليهم، فأخرجهم من ذلك المحل، فسافروا إلى كثير من الجهات، ثم عنَّ لهم الدخولُ إلى نجران، وساس الداخلُ منهم في قبائل يَام، حتى صار معتقداً عندهم، يعظمهم منهم الخاصُّ والعام، ويسلمون إليهم واجباتهم من النقود والطعام»[١].

قال البهكلي: «**وبالجملة**: فإنه صار رئيسهم وداعيهم إلى كلِّ مرام. وأما **مذهبُهم**، فإنهم فيما يظهر على مذهب الإسماعيلية»[٢]. انتهى.

قلت: وماذا كان مذهبهم قبل دخولهم نجران وقبل إخراج الإمام المهدي لهم من وادي ضهَر؟ هل كانوا زيدية ثم تحولوا، أم هم إسماعيلية منذ القديم؟ لم أقف على نص صريح في هذا.

وذكر بعض الباحثين أن أول داعٍ من بني المكرمي في طيبة هو: الداعي إبراهيم بن محمد المكرمي، في الفترة: ما بين سنة ١٠٤٢هـ، وسنة ١٠٨٧هـ، وفي سنة ١١١٧هـ كان الداعي (لعله الثاني) هو محمد بن إسماعيل المكرُمي، وأنه الذي أخرجه الإمام المهدي من طيبة إلى نجران، وأن القاضي إسماعيل بن هبة الله (ت ١١٨٣هـ)، أخو القائد حسن بن هبة الله، هو الداعي الرابع من هذا البيت[٣].

---

(١) «خلاصة العسجد» للبهكلي: ص٢٣٨-٢٣٩. وكلام القاضي البهكلي هذا غير دقيق، لأن خروج المكارمة من وادي ظهر كان في عام ١١٤٠هـ، وليس في عهد صاحب المواهب، كما سيأتي.

(٢) «خلاصة العسجد» للبهكلي: ص٢٣٩.

(٣) ذكر ذلك محققا كتاب «خلاصة العسجد» للبهكلي: ميشيل توشيرير باحث بالمركز الفرنسي للدراسات اليمنية بصنعاء، وعدنان درويش الباحث بالمركز الفرنسي للدراسات العربية بدمشق: الحاشية (٦)، ص٢٣٨، والعزو إلى: «بلاد العرب العالية» لفلبي، ص٣٥٥-٣٦٠، و«تاريخ البلاد العربية» لبلايفير: ص١١٩، و«الموسوعة الإسلامية» ٤: ٢٠٦-٢١٥.

وقد بحثتُ طويلاً في تواريخ اليمن المتوفرة بين يدَي للتحقق من هذا فلم أظفر بطائل، وأرى أن ما توصلتُ إليه في السطور التالية هو الصواب بإذن الله، وأن ما نقل عن بعض المستشرقين تنقصه الدقة ويعوزه التوثيق، والله أعلم.

بداية تحرك المكارمة السياسي:

خلاصةُ ما وقفت عليه: أنه عقبَ وفاة الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين[١] في رمضان ١١٣٩هـ، قام بالأمر بعده ابنه الإمام المنصور الحسين بن القاسم، وكانت قد جرت بينه وبين الإمام محمد بن إسحاق حروب انتهت بتملك المنصور واستتباب الأمر له[٢]. وكان من جراء تلك الحروب: أن بني إسحاق قدموا إلى (طيبة) سنة ١١٤٠هـ، وحتموا على من بها من المكارمة أن يفرغوا دورهم، فاستنكرت همدان ذلك الفعل من آل إسحاق، واستصرخ المكارمة في (يام)، «وطالبوهم في النكفة، على عادة القبائل»، واغتنم المنصورُ هذه الأحداث فخطب ود (يام) واستدعاهم لنصرته وتأييد دعوته، فلبوه، وقدم قادمهم وخلص إليه، فوجههم نحو (طيبة)، وتوجه هو بعسكره لاستئصال بني إسحاق[٣]. فكانت تلك الحادثة أول ظهور تاريخي للمكارمة، حسب بحثي.

---

(١) ينظر لترجمته وأخباره: «أقراط اللجين في سيرة المتوكل على الله القاسم بن الحسين»، وهو القسم السابع من كتاب «طيب أهل الكساء»، للعلامة المؤرخ محسن بن الحسن أبوطالب (ت ١١٧٠هـ)، المطبوع مختصره بعنوان: «تاريخ اليمن؛ عصر الاستقلال عن الحكم العثماني»، بتحقيق الأستاذ عبدالله الحبشي، مطابع المفضل، صنعاء: ص٣٨٣ وما بعدها.

(٢) ينظر: «مختصر طيب أهل الكساء»، المصدر السابق: ص٤٣٧ وما بعدها، و«اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية»، للكبسي (ت ١٣٠٨هـ)، ص٣٩٨ وما بعدها.

(٣) ينظر: «تاريخ اليمن في عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول» ص٤٥٣.

ثم في سنة ١١٤٢هـ، خرجت (يام) بقيادة بني المكرمي عن طاعة الإمام، وعبثت في البلاد، وآزرتهم حاشد وفتحت لهم الطريق، حتى وصلوا إلى (بيت الفقيه ابن عجيل) بتهامة، فأرسل المنصور من تحت يده من (بكيل) فهزموهم شر هزيمة، وغنموا منهم غنائم كثيرة، وجرت في السنة التالية ١١٤٣هـ من المكرمي وقبيلة (يام) حركة أخرى تدل على خبث طويته وخروجه عن طاعة الإمام، فتحرك الإمام المنصور بنفسه في جيش لجب، وذلك في ثاني جمادى الآخرة من السنة المذكورة[١].

وفي سنة ١١٥٥هـ نجمت حركة من قبل المكارمة ويام في سوق حراز، فألقي القبض على أحد المكارمة بأمر من الإمام المنصور (ت ١١٦٣هـ)، وانتشر الأمر إلى أن جرت حرب طاحنة بين جيش الإمام وبين يام، كان من نتائجها الوخيمة: أن توجهت يام إلى (الحديدة) وانتهبوها وسبوا أهلها، واشتبكوا مع التجار العُمانيين القادمين عبر البحر وقتلوا منهم جماعة، وغلبوهم بالكثرة، وأحرقوا بيوتاً ونهبوا أموال الناس، ثم ساروا إلى بعض القرى التهامية فاستحلوا مَن بها مِن البنين والبنات، وساقوا المواشي وأحرقوا العشاش، ثم ساروا إلى اللحية، وهي مدينة تجارية عامرة آنذاك، فوجدوا أهلها قد تحصنوا، فلم يغادروها إلا بعد أن أحرقوها!

وكان من الإمام المنصور بعد أن حصل من المكارمة ما حصل، إلا أن أمر في السنة نفسها (١١٥٥هـ) بإخراب جميع بيوت المكارمة بـ(طيبة)، فأخربتها همدانُ ومن بها من اليهود، وانتخبت أحجارها وأخشابها وأبوابها، وصارت كأنْ لم تغن بالأمس![٢]. وإلى ذلك أشار الشاعر بقوله ـ وكان قد زارها في أواخر القرن الثاني عشر الهجري[٣]:

(١) ينظر: «تاريخ اليمن»، المصدر السابق ص٤٥٩-٤٦٠.

(٢) ينظر: « تاريخ اليمن»، المصدر السابق ص٤٩٠-٤٩٢.

(٣) ينظر: «معجم المقحفي» ١: ٩٦٨.

أتيـــت إليهـــا زائـــراً بعـــدَ برهـــةٍ فلـــم ألـــقَ إلا صـــقرَها ويبابَهـــا
وساءلتها عن أهلهـا أيـن يممُـوا؟ فكُنَّ: الرسومُ الدارساتُ، جوابَهـا
عفاهـا رسـيمُ المـزن حتـى كأنهـا كنائحـــةِ الحيـــين تـــشجِي ربابَهـــا

هذا ما كان من أمر المكارِمة مع دولة الإمامة في صنعاء اليمن، وخبر زوالهم من ديارهم.

تحرك المكارمة إلى حضرموت:

لم نقف فيما بين أيدينا من مصادر على الأسباب التي دعت المكارمة إلى التوجه نحو حضرموت، ولكن يبدو أن مخلاف حضرموت كان يستهوي الطامعين من القبائل المحاربة لنهب ثرواته وخيراته، وقد استحلوا الأمر بعد الغزو الكبير الذي قام به القائد صفي الدين أحمد بن الحسن، الذي تلقب بالإمام المهدي (ت ١٠٩٢هـ)، وكان غزوه لحضرموت سنة ١٠٧٠هـ، في جيش لجب سماه مؤرخو حضرموت (سيل الليل)، وجرت أحداثٌ كثيرة لا نطيل بذكرها.

كما وجدنا ذكراً لغزو قبائل الرصّاص، وهم من قبائل ناحية شبوة، غزوا حضرموت لخرص ما بها من نخيل، وفرض جباية على ملاكها[١]، في حركة غير مسبوقة، ومرت هذه الحادثة على مؤرخي الحضارمة ولم يتفاعلوا معها كما ينبغي. غاية الأمر: أنْ وجدنا ذكراً لها في مناقب العلامة القاضي سقاف بن محمد (ت ١١٩٥هـ) قاضي سيؤون، جاء فيها: أن أحد قادة قبائل الرصّاص المذكورين لما دخل سيؤون، قابله العلامة السقاف، ووعظه وصدع بالحق في وجهه ولم يخف من سطوته[٢].

---

(١) ينظر: حسن بن سقاف السقاف، «نشر محاسن الأوصاف»، دار الحاوي، ص١٤٩.
(٢) المصدر السابق ص١٦٤-١٦٥.

نعود إلى ذكر المكرمي:

فقد تقدم في كلام الشيخ معروف باجمال أن خروجهم إلى حضرموت كان في شوال من سنة ١١٧١هـ، وارتفاعهم في محرم من سنة ١١٧٢هـ، وكان قوام الجيش: أربعة آلاف!

ولم يتطرق الشيخ باجمّال إلى ذكر سبب قدومهم. ثم وجدنا الشيخ سالم بن حميد التريسي (ت ١٣١٦هـ) تطرق إلى ذكر جملة من أخبار المكرمي في حضرموت، لم ترد عند غيره.

قال الشيخ ابن حميد رحمه الله[1]: «إتيان المكرمي من قبائل صنعاء من أهل البدعة بجيش عظيم، اسمه: هبة الله، وكان صاحبَ جدَل، يتفق بعلماء الجهة الحضرمية، ويناظرهم ويمتحنهم بالمسائل، حتى أن أهل السواد انتقلوا من محلاتهم، وتحصنوا من جيوش ذلك المبتدع في الحصن والجبال. وصالحه غالب قبائل الجهة الحضرمية خوفاً من سطوته».

ثم قال[2]: «وكان من سُخفِ ذلك المبتدع وتمرُّده: يقتُلُ الأنفسَ المؤمنة، ويشير إلى أنه يبيع الجنة بذَرعٍ هناك في محلته، فإذا مات ميت جيء إلى عنده، ويطلبون منه لذلك الميت كذا وكذا ذراع من الجنة، فيكتب في كاغد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ [التوبة: ١١١] الخ المقرأ. ويقول لهم: اجعلوه في كفنه. هذا ديدنُه وبدعته.

حتى بلغنا أن رجلاً مات أبوه وكان حاذقاً بذلك المبتدع، فجاء إليه، وقال: مرادي كذا ذراع من الجنة للوالد، فكتب له مثل ما يكتب لمثله، وسلم إليه كذا كذا قرشاً. فدفن

---

(١) «العدة المفيدة» ١: ٣١٤.

(٢)«العدة المفيدة» ١: ٣١٥.

والده وأبقى المكتوب عنده، ثم جاء إلى عند ذلك المبتدع، وقال له: رجعت الحوالة من عند الوالد! وهذا ما كتبته، فأرجع إليّ دراهمي. فسقط في يد ذلك المبتدع، وارتبش غايةً. وقال له: استر الحال، وهاك دراهمك، وفوقها دراهم من عندي. وكان هبة الله متعززاً في البدعة». انتهى.

مواقف بعض العلماء الحضارمة من حركة المكرمي:

قال السيد حسن بن سقاف رحمه الله[١]: «إنه لما خرج المكرمي إلى حضرموت، تزلزل مناصبها وأعلامها، وزالوا عن أماكنهم، وتزبنوا بالحصون والمعاقل، غير سيدي الحبيب علي بن عبدالله، وسيدي الوالد، بقيا في بيوتهما».

قلت: وممن زال عن مكانه خوفاً من فتنة المكرمي، العلامة الحسن بن علي الصادق الجفري، المتوفى في ١٢ ذي الحجة سنة ١١٧١هـ، بعد شهرين من قدوم عساكر المكرمي إلى حضرموت، قال الشيخ ابن حميد[٢]: «وكان ساكناً بالخلا، في محل يسمى (القرين) بسواد بلد تريس، فلما كان في السنة المذكورة، قبل وفاته، جاءت جيوش من القبلة قائدها المكرمي، وأظنه من قبائل حام (!)، إلى الجهة الحضرمية، فتحصن سيدنا الحبيب الحسن المذكور في محل بالعرض النجدي شرقي (المحترقة)، يقال له الآن: آل باحارثة، فكانت وفاته بذلك المحل، فنقل إلى محلته القرين، ودفن به...» إلخ.

أما الذين تحالفوا مع المكرمي من الحضارمة، ولم يقاوموه، فعلى رأسهم حكام المناطق والقرى بحضرموت، حيث كانت كل بلدة مستقلة بحاكمها، أما آل كثير فكانت

---

(١) «نشر محاسن الأوصاف» ص١٦٣-١٦٤.

(٢) «العدة المفيدة» ١: ٣٠٤.

قد زالت دولتهم وضعفت شوكتهم آنذاك[1]. ومن أبرز الحكام: الجهاورة، وآل غرامة، وآل هرهرة، وغيرهم، وجميعهم من قبائل يافع التي سكنت حضرموت من بعد القرن العاشر.

احترام المكرمي لقاضي سيون العلامة سقاف بن محمد (ت ١١٩٥هـ):

قال الشيخ ابن حميد رحمه الله: «لما وصل [يعني: المكرمي] إلى سيؤون وجلس في المحل الذي شرقي البلد المسمى (المسلمان)، فخرج إلى عنده سيدنا الحبيب العلامة الإمام سقاف بن محمد الصافي (ت ١١٩٥هـ)، فلما دخل عليه، أحرم بنحو مئة ركعة، فصلى الحبيب سقاف ما شاء الله حتى انتقل هبة الله من صلاته، فناظره سيدنا الحبيب سقاف، وأفحمه غاية، فكفى الله الناس شر ذلك المبتدع، وسار من الجهة الحضرمية بعد مدة». انتهى.

وفصّل السيد حسن بن سقاف (ت ١٢١٠هـ) ما جرى بين والده الحبيب سقاف قاضي سيؤون وبين المكرمي وبعض جنوده ورعاياه، وأنقل كلامه بنصه، لما فيه من فوائد، قال رحمه الله: «فلما وصل المكرمي إلى شبام، عارضه سيدي إلى سحيل شبام، وجلس معه في بيت معروف، وقال له: خرجت تريد حضرموت؟

ومع هذا الجندي أعوانٌ من أهل الأرض، مثل: الدولة، والجهوري، وآل هرهرة، فقال له الوالد: أريد منك العهد، فقال له الجندي: على أي شيء؟ فقال له الوالد: على أعوانك، فهم أعداءٌ لله ولأمة محمد، بواطنهم خبيثة على المسلمين، تعطيني العهد على أنْ لا تتبعهم في أمر. فأعطاه العهد في ذلك.

---

(١) ينظر: «تاريخ الدولة الكثيرية»، للأستاذ محمد بن هاشم، ص١١١-١١٩.

وبقي الجندي المذكور حاطاً تحت شبام، وأرسل ولده وطائفة من جنده إلى (سيؤون)، وبقي سيدي يختلف عليه، وكلما هَمَّ في أمر من الأمور الشنيعة منعه منه، وهم لا يخافون الله، وهم طائفة من (نجران) معروفون، وكلما أرادوا أمراً فيه على أحد من المسلمين ضرر منعهم، حتى ديار يافع منعهم من كسرها ومن قطع أموالهم. وحصل له عندهم الجاه العظيم، والصولة التامة. وقال بعض رؤسائهم: نرتفع من الأرض لمحبتك.

ووقعت له أمور عجيبة، واعترضوا يوماً جملة ركاب حاملات خريفاً لبعض يافع، فاعترضهم سيدي، وقال لهم: الخريف حقي! وكلما وصلوا إلى مكان ليغيروا عليه قيل لهم: هذا مكان الحبيب سقاف، فيتركونه. فنم بعض أهل البلد على سيدي، وقال لهم: الخريف خريف العسكر، وإنما الحبيب موادٌّ لهم! فلما طلع سيدي إلى عندهم اشتحن عليه أحد رؤسائهم شحنة عظيمة، اشتغل منها، حتى قال له الجندي: إنما أنت موادٌّ ليافع وخصم لنا! وكلام قبيح. فخرج من عندهم مكسور الخاطر.

فلم يلبث إلا قليلاً؛ فوصل إليه رسول منهم، فقال: إن مرادهم أنك تصل إليهم، فحزن سيدي جداً، ووقع بقلبه أنهم أرادوا قتله، فأدركته الثقة بالله، ولم ير غير الله، فطلع إليهم، فلما وصل، استقبله الشخص الذي أغضبه، واعتذر إليه، وقال: أعلم يا سيدي أني أغضبتك وشغلتك، وأنا منطرح إليك، وناصرك ومعينك ووزيرك. فانشرح لذلك صدر سيدي وعلم أن ذلك عنايةٌ من ربه. فكان الجندي المذكور كلما استعان به سيدي أعانه ونصح معه». انتهى ما ورد في مناقب الحبيب سقاف بن محمد رحمه الله.

المكرمي وصاحب الوسيلة؛ الحبيب محمد بن سميط (ت ١١٧٢هـ):

تحدث الشيخ الفقيه الصالح معروف بن محمد باجمّال الشبامي، رحمه الله، في كتابه «مجمع البحرين في مناقب الحبيب محمد بن زين»، عن الأجواء التي صاحبت إنشاء هذه

القصيدة. فقال في مناقب شيخه الناظم، في: (**الباب السابع: في أشياء تتعلق بوفاته وانتقاله إلى الله والدار الآخرة ومرضه**):

«وكان في مرضه هذا في العرفان واليقين كالطود الشامخ، وكان مدةُ مرضه نحو خمسة أشهر. وذلك بعد وصول الفئة الباغية إلى حضرموت، ومقدَّمهم البياضي[١] خبيث المعتقد، حسن بن هبة المكرمي، من جهة اليمن ومعه نحو أربعة آلاف، من عصب الأذواء ويام، ومحطّهم تحت شبام، وحصرها وقطع السبل، وأهلك الحرث، ونهب الأموال، وهتك الحُوَط. وكان وصولهم في شهر شوال ودام الحصار إلى آخر شهر عاشوراء.

فكان سيدي نفع الله به في هذه الداهية الدهياء، جبلاً شامخاً، وبحراً متسعاً، تياراً لم يغير صفاء بقيته حادثات الزمان، لما وهبه الله من الثبات عند مفاجآت الأقدار، من الصبر والشكر والتوكل، والتفويض والتسليم، للعليم الحكيم.

وقد رأى سيدي قبل قدوم المكرمي وأصحابه كأنه جاءَ سيلٌ من جهة القبلة، وأنه لما وصل تحت شبام تلاشى، فأوّله نفع الله به: أنه يضعُف أمره، فكان الأمر كما قال. وقال: «لما حطّ تحت شبام، رأيت كأني وإياه على عيش، هو وسيدي عمر بن زين، قال: وكأني لم أرَ وجهه قط، فأولته أنه ينال من البلاد شيئاً على سبيل المصالحة ويذهب، فكان الأمر كذلك». وقد مرّ: أنّ سيدي ظهر له عياناً، وأبطل سحره وعزائمه وطلسمه.

وكتب المكرُمي لسيدي: «إنني مقيم وناصر الشريعة، ومرادي بكم تخرجون من المدينة أنتم ومن شئتم مكرمين آمنين». فرد عليه سيدي جواباً لكتابه بردٍّ جميل، ولم يجبه إلى ما طلب، وحاق به ما كتب. ومدةَ هذا الحَصْر والهول العظيم الذي يكابده الناسُ، كان سيدي لهم كهفاً وملجأ، وأوقاتُه مغمورة بالطاعات، من إقامة الصلوات وقراءةِ القرآن

---

(١) كذا في جميع النسخ، ولعلهم كانوا يعتقدونه (إباضياً)!

وتدريسِ العلوم، وحضراتِ الذكر يوم الجمعة، وبذْرِ الإيمان والصبرِ على الامتحانِ، في قلوبِ أهل الضعف والمسكنة، لينالوا الثواب الجزيل من الكريم المنان.

وكان سيدي يشجعُ الجندَ رتبةَ البلد من حيث الظاهر، ويقول لهم: «اثبتوا، الخطب هَيِّن». فكانوا يتبعُون إشارته، وحتى قال بعضُهم منهم: «لولا الحبيبُ محمد بن زين لنا إن كان اختذَلنا». وقد رأى سيدي محمدٌ شيخَه الحبيب عبد الله بن علوي الحداد أيام الحصْر وهو يقول له: «كيف حالَ الناس؟»، قال له: «يا سيدي الناس في غاية من التعب والشدة، وملتجِين إليكم»، فقال: «درّكناك بشبام، وبقية حضرموت علينا وعلى السلف الصالح».

فمن بعد ذلك تحمّل سيدي بلاءَ هذه الطامة، وانفرد به دون غيره، لم يشاركه فيه أحد، لأنه صاحب الوقت والدائرة، حتى نزل به بتقدير الله مرضٌ قُبضَت منه رجلاه، وكان يصلي جالساً، ساعةً إماماً، وساعةً مأموماً، وكان يخرج لصلاة الجمعة أولاً ماشياً ثم راكباً، لما شقَّ عليه المشي والخروج إلى المسجد لشدة ما يقاسِيه من المرض انقطع في البيت ممتثلاً لأمر الله قابلاً لرخصة الشارع، فكان مطيعاً في كلا الأمرين.

ولما دخل عليه السيد الجليل أحمد بن محمد مشهور مَرْزَق باعلوي زائراً لسيدي محمد، قال له: «الناسُ في وادِي وأنت في وادي، قلتَ للناس: رجلي تؤلمني! إنما أنتَ كما قلتَ إخباراً عن حال شيخك عبد الله الحداد فيما قلتَ، قد قال: دكّتني محبة خالقي، وتملّكت مني جميع أجزائي»، فلما خرج السيد أحمد من عنده قال سيدي محمد: «السيد أحمدُ عارفٌ بالله». فكان مدةُ مرضه نحو خمسة أشهر، من بعد حصر البلد وارتفاع الأقوام من تحتها، واستمر واشتد عليه، وكان في مدة الحصر يرتب سورة يس المعظّمة كل يوم سبع مرات، وقال: «رتبنا سبعين ألفاً من حسبنا الله ونعم الوكيل». وكان يكرر هذه الأبيات:

يــا رب أمــري أمْـرْ مــبهَمْ ومنــك أرجــو الانطــلاقْ
أمحنـــي التفـــسير والهـــم نفّــسْ عــلَيّ ضــاقَ الخنــاقْ
كتمــتُ شــيئاً أنــتَ بــه أعلــمْ غِثنــي فــإنّ الأمــر ضَــاقْ
غيــاث عاجــلْ غــير آجــلْ إني عـــلى بابِـــك نزيـــلْ

إلخ.

وكان كثيراً ما ينشد في مرضه ويتسلى بهذه القصيدة من أنفاس شيخه سيدنا عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به[١]:

يــا نــديمي فــؤادي مــرتهن بالليــالي التــي مــرت لنــا
بــين تلــك المرابــع والــدمن والمنــازل ديــار أحبابنــا
مــا تهنــت جفــوني بالوســن بعــد مــا غالــب سـولي والمنـا
كامل الوصف ذا الوجه الحسن يخجــل البــدر نــوره والــسنا

إلى آخرها». وكانت وفاة الحبيب محمد بن سميط في ربيع الآخر ١١٧٢هـ، رحمه الله.

انفضاض جيش المكرمي وارتفاعه عن حضرموت:

وبعد أربعة أشهر من حصار ظالم على مدينة شبام، من شوال ١١٧١هـ إلى محرم ١١٧٢هـ، ارتفعت جيوش المكرمي عن حضرموت، وفُكَّ الحصارُ عن شبام، وعاد المكرمي أدراجه يجر ذيول الخيبة والندامة، بعد أن باءت حملته بالفشل الذريع. وتكبّدوا خسائرَ ماليةً فادحة، نتيجةً لخطة فاشلة غير محكمة، أرادوا من خلالها أن يسيطروا على مخلاف حضرموت، ويحكموا قبضتهم عليه، فجاءت الرياح على غير مشتهاهم.

---

(١) «ديوان الإمام الحداد» ص٥٣٠.

وما كان من كبير المكارمة، وداعيهم القائم في ذلك الوقت، وهو القاضي إسماعيل بن هبة الله المكرمي (ت ١١٨٣هـ)، أخو القائد الخائب الحسن بن هبة الله قائد الحملة إلى حضرموت؛ إلا أن وفدَ منتصفَ سنة ١١٧٢هـ على حاكم المخلاف السليماني الشريف محمد بن أحمد بن خيرات الحسني (ت ١١٨٤هـ)، الذي كانت بين المكارمة ويام وبين شريف المخلاف مواثيق وعهود على النصرة، والحديث في هذا الصدد يطول[١].

قال القاضي عبدالرحمن البهكلي في «خلاصة العسجد»[٢]: «وفيها [يعني: سنة ١١٧٢هـ]: وصل القاضي إسماعيل بن هبة الله المكرمي، إلى حضرة الشريف، ومعه جماعة من أولاده وبني أخيه، وافداً ومسترفداً له في ديون لحقته لبني يام، بسبب تجهيزه لأجناد منهم صحبة أخيه حسن بن هبة الله إلى بلاد حضرموت، قصداً لتملكها، فرجعوا ولم يقفوا منها على طائل، سوى أنهم خسروا أموالاً عظيمة». إلى أن قال: «ولما وصل القاضي المكرمي إلى الشريف، قبله وأكرم نزله، وقضى أكثر دينه أو كله، محافظةً على الوفاء، ومكافأةً له، فأقام بحضرة الشريف حتى دخلت سنة ثلاث وسبعين، ثم عاد إلى نجران». انتهى.

فكانت هذه نهاية الحملة المكرمية على حضرموت، وقد باءت كما رأينا بالفشل الذريع، كما أن نهاية العلاقة بين حاكم المخلاف الشريف محمد بن خيرات وبين يام والمكارمة كانت نهايةً مأساوية، فقد جرت بينهم بعد ذلك خلافاتٌ ونشبت حروبٌ طاحنة.

ومن تلك الحروب: وقعة أم الغلَف في جمادى الأولى سنة ١١٧٦هـ[٣]، وأخرى في سنة ١١٨١هـ، وثالثة الأثافي حروب سنة ١١٨٤هـ عقبَ موت القاضي إسماعيل بن هبة

---

(١) ينظر للفائدة: «خلاصة العسجد» للبهكلي، ص١٣١، وما بعدها.

(٢) ص٢٣٥-٢٣٦.

(٣) «خلاصة العسجد» ص٢٨٨-٢٩٥.

الله، حيث قامت قائمة أخيه حسن المكرمي مرةً أخرى، فجيش جيشاً من يام وسار به قاصداً قتال الشريف محمد الخيراتي، فجرت بينهم حروب ووقائع طاحنة، خلّفت الكثير من القتلى، كل ذلك لأن الشريف الخيراتي لم يكن مرتاحاً لوعود المكارمة، لما تعوّده منهم من خيانةٍ ونقض للعهود، فأراد أن يستأصل شأفتهم، ولكن الحرب سجال، فكانت نهاية الحرب انكسار جيش الشريف، وقتل ما يقرب من ٥٠٠ إنسان من الفريقين... وانتهت السنة بموت الشريف الخيراتي بمدينة أبي عريش في ٢٧ ذي الحجة من تلك السنة ١١٨٤هـ[١].

أما حسن بن هبة الله، فإنه أصيب في تلك الحرب إصابة بلغة، واعتقد الناس أنه مات، ولكنه نجا من القتل بأعجوبة[٢]، وله وقائع تاريخية أخرى غير ما ذكر، منها: وقعة الحائر، سنة ١١٧٨هـ، وهي أرض بين الخرج والرياض، قَتلت فيها يامُ بقيادته من مقاتلةِ نجد نحو خمسمائة رجُل، في خبرٍ طويل[٣].

ويرى البعض أن وفاة الحسن بن هبة المكرمي قد تأخّرت إلى سنة ١٢٤١هـ، وهذا مستبعد، فلا يجاوز موته سنة ١١٩٠هـ أو نحوها، ولعل تشابه اسمه بأسماء آخرين أدى إلى حصول خلط، والله أعلم[٤].

---

(١) ينظر: «خلاصة العسجد» ص٣٥٢-٣٦٨.

(٢) «خلاصة العسجد» ص٣٦٤.

(٣) ينظر: «تحفة القارئ والسامع في اختصار تاريخ اللامع»، للشيخ عبدالله العمودي، تحقيق عبدالله أبوداهش ١: ٢٢٢. ولمعرفة بقية أخبار يام مع أشراف المخلاف، ينظر: «تاريخ المخلاف السليماني» لمحمد أحمد العقيلي ١: ٤٠٩-٤٣١.

(٤) عبد الله أبوداهش ١: ٢٢٢، الحاشية (٢) عن كتاب «تحفة القاري والسامع»، للعمودي، مصدر سابق. نقلاً عن: فؤاد حمزة، «بلاد عسير» ص١٧٥.

*** خلاصة البحث:**

نستخلص مما مرّ عن المكارمة، وتفصيل أخبار حملتهم على حضرموت، أموراً كثيرة، رأيت أنه من المفيد أن أختم بها هذا البحث الوجيز، فمن ذلك:

١ ـ كان المكارمة قوماً وادعين في بلدهم، منطوين على معتقداتهم الدينية، آمنين، لايتدخلون في شؤون غيرهم، إنما الذي استثارهم هو الظلم الواقع عليهم بسبب تغير الأحداث السياسية في المنطقة، وانتقال السلطة من قوم لقوم.

٢ ـ علاقة المكارمة بقبيلة يام الهمدانية علاقة قوية جداً، تعززها الرابطة العقدية، والمكارمة هم سادة يام، وأكابرها، أوامرهم مطاعة، وطلباتهم مجابة.

٣ ـ ظهر من المكارمة وأتباعهم يام خيانةٌ للعهود، ونقضٌ للمواثيق، ولمس منهم أئمة اليمن خبثَ طوية، وعدم صفاء ونظافة في المعاملة. وظهر من قبيح أفعالهم: سومهم المسلمين سوء العذاب، واستباحة الأعراض، ونهب الأموال. وهذا ما يدعو إلى عدم الثقة بهم البتة.

٤ ـ كانت حركة المكارمة نحو حضرموت غير مدروسة، وتكبدوا فيها خسائر كبيرة، ولم يرجعوا منها بطائل. ولعلهم اعتمدوا في ذلك على أخبار غير موثوقة.

٥ ـ نظراً للجيش الكبير الضخم الذي قادوه نحو حضرموت، فإنهم لم يلقوا مقاومة تذكر، ولم يَرِد أنهم خربوا ممتلكات أحد، أو قتلوا إنساناً، ولعل ذلك يعود إلى حكمة القيادة، حيث كان قائد الجيش حسن بن هبة الله من العلماء، بل كان قاضياً.

٦ ـ كان القائد المكرمي، نظراً لعلمه، يقرب علماء البلد ويناظرهم، ويحاول التوصل لمطلوبه بطريقة سياسية استدراجية، ولكنه جوبه بمن يقف في وجهه، ويفحمه

ويلقمه الحجة، وكان بطل حضرموت هو العلامة القاضي سقاف بن محمد السقاف، الذي لم يخش سطوة المكرمي، وتقدم إليه بخطى ثابتة، وناظره مناظرة الخصم للخصم، مما يدل على قوة جنانه، ورباطة جأشه رحمه الله، فاحترمه المكرمي وجنوده، وقدّروه غاية التقدير.

٧ ـ كان المكرمي يظهر بمظهر العالم الصالح، فيكاتب العلماء ويرغبهم في اتباعه بدعوى نصرته للشريعة، ويطلب من العلماء الخروج مع أهالي البلد وإفراغها ليستحل دورها، كما فعل مع الإمام ابن سميط، ولكنه لم يظفر من ذلك بطائل.

٨ ـ كان لالتفاف الأهالي وجنود الحاميات في البلدان والقرى حول علمائهم وأهل الدين منهم، أثرٌ كبير في تقوية الروح المعنوية لديهم، لوجود الجانب الأهم من ذلك وهو الالتجاء إلى الله تعالى، والتضرع، وكثرة الذكر، وهذا هو سرُّ النصر والظفر.

٩ ـ كانت عاقبة العلاقات السياسية بين المكارمة وقبائل يام الموالية لهم، وبين حكام المخلاف، عواقب وخيمة، بسبب عدم المصافاة، ولوجود أغراض خفية في النفوس، ولانقضاء المصلحة الدنيوية، فإنّ الشريف الخيراتي بعد أن ملأ يديه بالانتصارات المتعددة التي حالفته فيها يام، رأى أن مصلحته منهم قد انقضت، ولعله اغتر بقوة ملكه، فتجرع مرارة الهزيمة والفشل.

١٠ـ وأخيراً، لمسنا اضطراب المؤرخين والباحثين في تحديد زمن نزوح المكارمة إلى نجران، وعدم ضبطهم للتواريخ والسنين، ومرد ذلك إلى عدم توفر المصادر الأصيلة التي توفرت اليوم بين أيدينا، والحقيقة دائماً بنت البحث، فعلى الباحث الجاد ألا يركن إلى المراجع الفرعية، بل عليه أن يعود دوماً إلى المصادر الأصيلة ويقارن ويحرّر، فيرد الخطأ، ويشيد بالصواب، والى الله المرجع والمآب.

وبعد؛

فهذه لمحة وإلماعة إلى تاريخ هذه الطائفة، جمعتها من مصادر متعددة، حباً في خدمة تاريخ بلدي، وخدمة العلم والتاريخ عموماً، ولعل الأيام تكشف لنا عن تراث المكارمة، ويُزاح عنه غبار السنين.

❊ ❊ ❊

هذه الوسيلة:

قال الشيخ معروف باجمّال في «مجمع البحرين»: «ولما اشتد بالناس الضر من الحصر والخوف أنشأ وسيلته المعظّمة، فعلمه والاستغاثة في كشف الكروب المدلهمة، ومطلعها:

سألتك يا مولاي تفريج كربتي ... وتفريق أحزاني ودفع بليتي
سألتك يا مولاي يا كاشف البلاء ... ومهدي ومسدي كل ضر ونعمة

فكانت مجليةً للهموم والغموم والأحزان، والكروب والأشجان، حتى قال منشيها سيدي محمد: «إنها لكل مهمّ». وكان إنشاؤها آخر شهر الحجة. فأمر سيدي بقراءتها كل يوم بعد سورة يس، فما مضى نحو أربعين يوماً إلا فرّج الله على المسلمين، وارتفع البلا والأجناد، وانطلق الناس، واستمر الحاضر منهم والباد.

وجعلها رضي الله عنه، يعني هذه «**الوسيلةَ**»، ثلاثة فصول:

أولها: استغاثة من يجيب المضطر إذا دعاه، وتملق وتضرع على باب مولاه، بذله وخضوعه وانكساره وفقره، ناظراً إلى نيل فضل مولاه الكريم الرحيم، الذي لا يخيب راجيه، ولا يرد سائله وداعيه.

وثانيها: التشفّع بالوسيلة العظمى، سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، جده المصطفى ﷺ، ودخل من الباب الذي يدخل منه جميع أهل الصدق والوفاء، وحط أثقال رحاله في رحاب سيد الأولين والآخرين، يستنجده في حصول المأمول.

وتوجُّه ثالثٍ فصلٍ فيها: بأهل البيت النبوي، والسر المصطفوي، أهل البيت الكرام، بدور التمام، وأنجم الظلام، ومجلِّي القتام، وموالي الهبات العظام، نفعنا الله بسرهم، وأعاد علينا من بركتهم. فأجابوه رضي الله عنه سراعاً كما وصف عادة بعد عادة، فكانت هذه الوسيلة من الوسائل العظيمة لما اشتملت عليه من الرجوع إلى الله، والتوسل برسول الله ﷺ، وأهل بيته الطاهرين، نفع الله بهم آمين». انتهى ما أورده الشيخ باجمّال.

انتشار هذه «الوسيلة» في بلاد المسلمين:

قال الشيخ معروف باجمال في «مجمع البحرين»: «**أخبرني بعض السادة**، قال: كنت أحفظ **وسيلة** سيدنا محمد، وتوسلت بها في مهماتي، فكنت يوماً في مسجد الحديدة باليمن، وأنا أنشدها، ورجل من أهل اليمن قريباً مني، فلما سمعها مني، استخبرني: لمن هذه؟ فأعلمته أنها لسيدي محمد بن زين بن سميط باعلوي، وقال: ما أجمعها وما أحسنها، تفضل عليَّ أملِها علي با أكتبها، فأمليتها عليه حتى أتمها، وفرح بها غاية الفرح». انتهى.

ومن ذلك ما جاء في مخطوط «**مجموع كلام الحبيب عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط**» المتوفى بزنجبار سنة ١٣٩٦هـ، مما نقله عنه بعض تلاميذه، قال رحمه الله بعد أن أجاز بعض أصحابه في قراءة هذه **الوسيلة**، وذكر سبب إنشائها، كما تقدم: «لما رمى الجرمني على المدفع الذي يحمي زنجبار، فزع الناس، وهربوا كثير منهم، فجاء الشيخ عبد الله باكثير (ت ١٣٤٣هـ) إلى عند والدي (ت ١٣٤٣هـ)، وأخبره برؤيا رآها، وهي: أنه رأى جماعة كثيرة من كبار الرجال، ولم يعرف منهم أحداً، وكأنهم يقولون له: ما عليكم

بأس، وبجانبه رجل ناوله نسخة، وقال له: اقرأوا هذه ولا عليكم خوف، فتناول **النسخة** وفتحها ليعرف ما فيها، فإذا هي **الوسيلة** المذكورة.

وأهل زنجبار يقرؤونها لتفريج الهموم وكشف الكروب، ويكاد يحفظها الكثير منهم»[١].

انتهى كلام الحبيب عمر بن سميط، وهو من أحفاد صاحب «الوسيلة»، نفع الله بهم.

ولم يزل الصالحون من أهل شبام، والعارفون لقدرها وفضلها يقرؤونها في مختلف أوقاتهم من شدة ورخاء، وكان بعض الصالحين يرتب قراءتها مساء كل خميس في مسجد السادة بني علوي المعروف بمسجد (ابن أحمد) الكائن في الركن القبلي البحري من شبام، وهو مسجدٌ مبارك، كان معتكَفاً لكثير من العبّاد والأولياء الصالحين قبل تغير الأحوال في هذه البلدة العتيقة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

هذه النشرة للوسيلة المعظَّمة:

قام قسم البحث العلمي بدار الفتح للدراسات والنشر، وفقهم الله ونفعَ بهم، بتحقيق نصّ هذه الوسيلة على ثلاثة أصول خطية، أصلٍ مستقل، وآخرين مستلَّين من كتاب «مجمع البحرين» للشيخ باجمّال، وأثبتوا الفروق، وضبطوا النص وحرّروه.

وقمتُ بدوري بكتابة هذه المقدمة التي أرجو أن تضعَ القارئ الكريم في جوّ القصيدة ومناسبتها، وتقرّبه من معانيها ومقاصدها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كتبه
محمد بن أبي بكر بن عبدالله باذيب
سامحه الله

فرغتُ من تحرير هذه النبذة
ضحوة يوم الخميس ١٣ ذي الحجة الحرام
ثالث أيام التشريق من عام **١٤٢٩**هـ

---

(١) نقلنا هذه الفائدة عن خط الشيخ الفاضل عمر بن حسن عرفان بارجاء، رحمه الله. من نسخة حصلنا عليها في الثاني من ربيع الآخر سنة ١٤١٤هـ.

تعريفٌ بالإمام
الحبيب محمد بن زين بن سميط
(صاحبِ الوسيلة)

بقلم: الأستاذ عمر بن أبي بكر باذيب(١)

الإمامُ العارفُ بالله، العالـمُ العامل، الورعُ الزاهد، سليلُ بيت النبوّة، السيِّدُ الشريفُ جمالُ الدين محمدُ بنُ زينِ بن علوي بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد سُمَيط باعلوي الحسيني، الشافعيُّ مذهباً، الشباميُّ داراً، الحضرميُّ بلداً.

كان ميلادُه، رحمه الله، في سنة ألفٍ ومئة وثمانية من الهجرة النبوية (١١٠٨هـ)، بمدينة (تريم) في القطر الحضرميّ. وتربّى في مجتمعٍ علميٍّ محافظ، ونشأ نشأةً صالحةً في كنَـف والده وتحتَ رعايته.

قرأ، على عدةِ شيوخ، كثيراً من المتون في شتى المعارف، ومن أجلِّ شيوخِه قطبُ الإرشاد الإمامُ عبد الله بن علوي الحدّاد، انقطع إليه انقطاعاً تاماً. ومن شيوخه الإمامُ أحمدُ بنُ زين الحبشيّ، والسيد عمر البار باعلويّ، والسيد عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه،

(١) كان شقيقي الأكبر الشيخ عمر باذيب حفظه الله تعالى قد كتب هذه الترجمة للإمام محمد بن زين من نحو اثنتي عشرة سنةً، على أمل أن يُخرِج هذه الوسيلة، فلم يتيسر ذلك حتى هذا الوقت الذي قام فيه قسم البحث العلميّ بدار الفتح للدراسات والنشر ـ وفقهم الله ـ بتحقيق نصِّها ونشرها، فرأيتُ إثبات هذه الترجمة هنا.

والشيخ سالم بن عمر بافضل، وصحب السيد زين العابدين بن علوي بن محمد الحبشي وانتفع به كثيراً.

ولـمّا كانت مدينة (شبام ـ حضرموت) في زمانه بحاجةٍ إلى دعاةٍ ناصحين ومرشدين وعلماء مخبتين، وحيث إنّ أهل تلك البلدة كان لهم تعلُّقٌ بالإمام الداعي إلى الله عبد الله بن علوي الحداد فقد أشار عليه شيخُه الإمام الحدّاد بالانتقال إليها والاستقرار بها، لنشر العلم والدعوة إلى الله، فانتقل إليها مع أهله، وصَحِبَه أخوه شجاعُ الدين عمرُ ابن زين بن سميط، واتخذاها سكناً وداراً، وذلك في سنة ١١٣٥هـ.

استبشر به أهل مدينة (شبام)، وانتفع به خلائق لا يحصون، وتجرَّد للدعوة والإرشاد، والنصح والإصلاح، إلى أن وافاه الأجل وتوفّي بمدينة (شبام)، ليلةَ الثلاثاء لعشرين خلت من شهر ربيع الأول سنة ألف ومئة واثنتين وسبعين من الهجرة (١١٧٢هـ)، رحمه الله ورضي عنه.

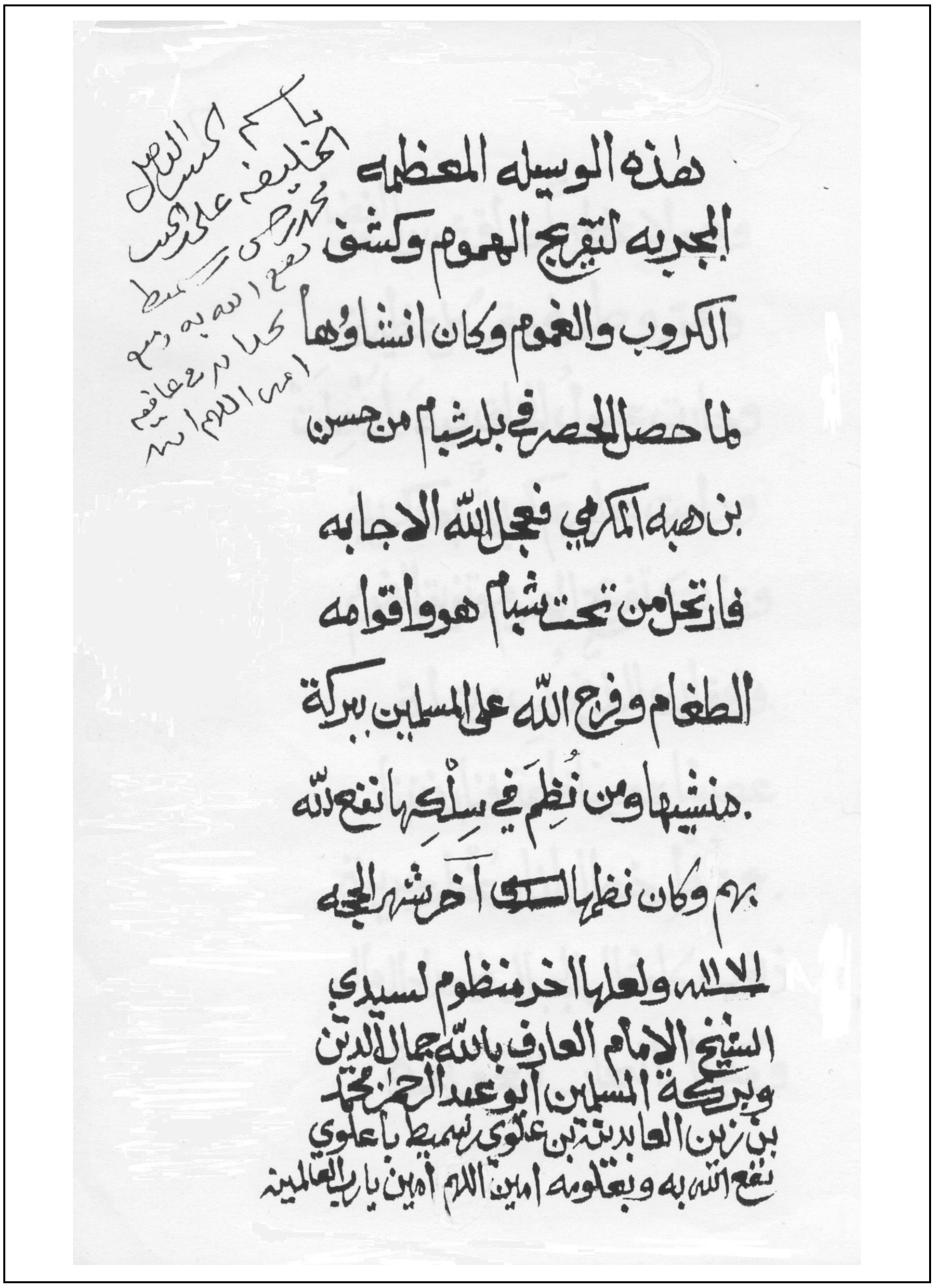
وأعقب من الأبناء: وجيهَ الدين عبد الرحمن بن محمد بن زين بن سميط المتوفى سنة ١٢٢٣هـ، وزين بن محمد بن زين بن سميط، وكانا من العلماء المشار إليهم، ومن ذريتهما نبغ علماءُ أجلاءُ وقضاةٌ وفقهاء.

وبعد وفاته قام مقامَه في الدعوة والإرشاد أخوه شجاع الدين عمر بن زين بن سميط المتوفى سنة ١٢٠٧هـ، ومن بعده ابنُه مجدِّد الدينُ الإمامُ أحمد بن عمر بن زين بن سميط المتوفى سنة ١٢٥٧هـ.

وللإمام محمد بن زين بن سميط كتبٌ نافعةٌ منها هذه الوسيلة العظيمة، المجرَّبة لتفريج الهموم، وكشف الكروب والغموم، وهي وسيلةٌ شافيةٌ كافيةٌ نافعةٌ بإذن الله لمن قرأها بصلاحِ نيّـةٍ وحسْنِ اعتقادٍ وصدقِ تَوجُّه.

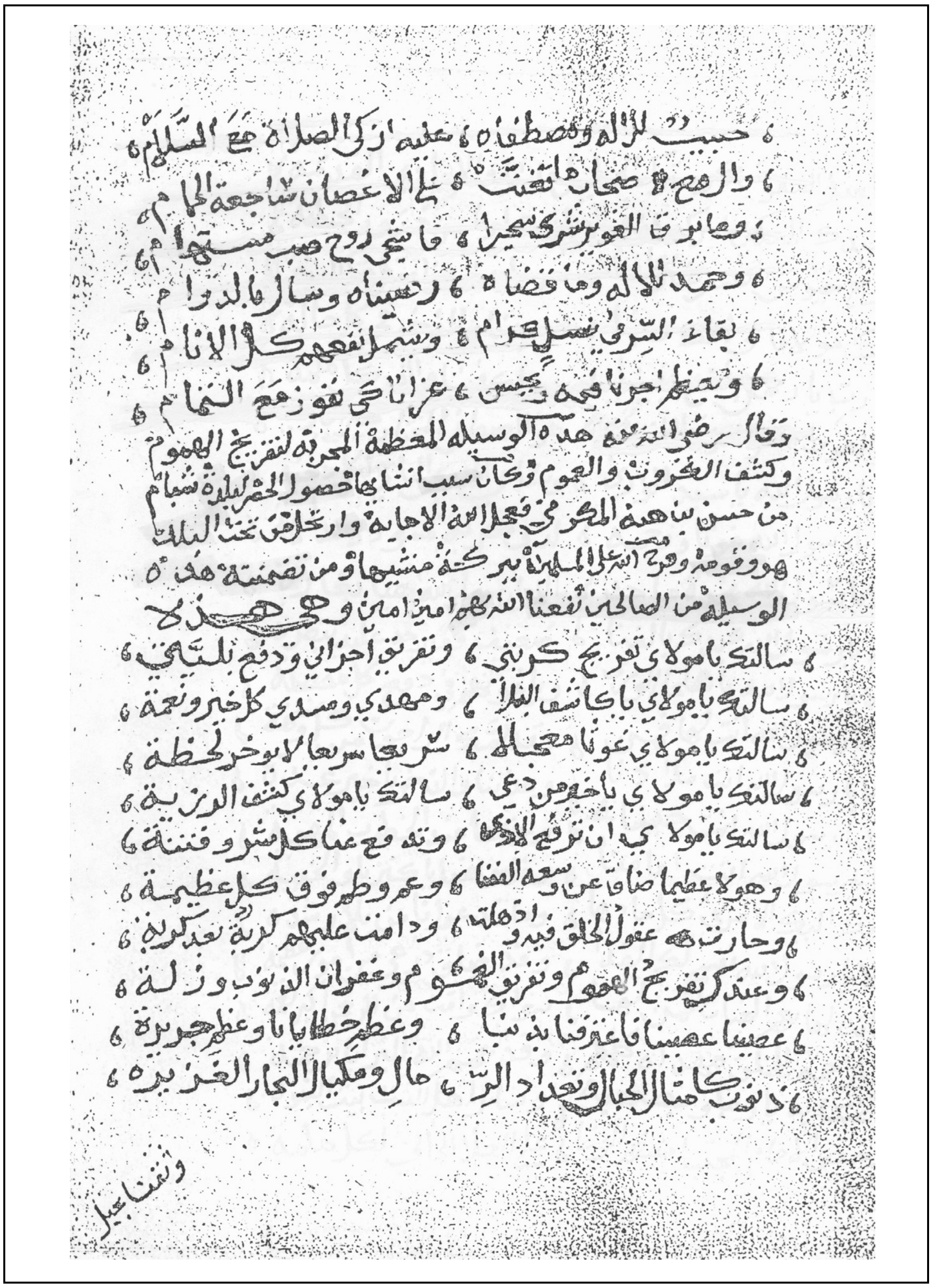
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُفيض على قارئ «الوسيلة» من فيوضاتِ رحمته ولطفه، وأن يتداركه بعنايته وحفظه، وأن يدخلَه في كَنَـفه وستره. ونسأله سبحانه أن يرحمَ جامعَ هذه الوُريقاتِ وناشرَها، وكاتبَ هذا التعريف، وأنْ يغفر لهما ولوالديهما وللمسلمين، إنه سميع مجيب، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على سيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم.

❊ ❊ ❊



هذه الوسيله المعظمه
المجربه لتفريج الهموم وكشف
الكروب والغموم وكان انشاؤها
لما حصل الحصر في بلد شبام من حسن
بن هبه المكرمي فجعل الله الاجابه
فارتحل من تحت شبام هو واقوامه
الطغام وفرج الله على المسلمين ببركة
منشيها ومن نظم في سلكها نفع الله
بهم وكان نظمها في آخر شهر الحجه
الاالله ولعلها اخر منظوم لسيدي
الشيخ الإمام العارف بالله جمال الدين
وبركة المسلمين أبو عبد الرحمن محمد
بن زين العابدين بن علوي سميط باعلوي
نفع الله به وبعلومه امين اللهم امين يارب العالمين

صورة الصفحة الأولى من الأصل الأول



حبيب الإله ومصطفاه عليه أزكى الصلاة مع السلام
والآل والصحب ما تغنت على الأغصان ساجعة الحمام
وطابق الغوير شركي سحرا ما شجى روح صب مستهام
وحمد الإله وما قضاه رضيناه وسار بالدوام
بقاء السري يسل كرام وشمل نفعهم كل الأنام
ويعظم أجرنا فيه ويجس عزا وكي نفوز مع الكرام

قال رضي الله عنه هذه الوسيلة المعظمة المجربة لتفريج الهموم وكشف الكروب والغموم وكان سبب إنشائها حصول الحصر لبلدة شنقيط من حسن بناهية المكرمي فعجل الله الإجابة وارتحل من تحت البلد هو وقومه وفرج الله على المسلمين ببركة منشيها ومن تضمنته هذه الوسيلة من الصالحين نفعنا الله بهم آمين آمين وهي هذه

سألتك يا مولاي تفريج كربتي وتفريق أحزاني ودفع بليتي
سألتك يا مولاي يا كاشف البلا وهاديّ ومسديّ كل خير ونعمة
سألتك يا مولاي عونا معجلا سريعا سريعا لا يؤخر لحظة
سألتك يا مولاي يا خير من دعي سألتك يا مولاي كشف الرزية
سألتك يا مولاي بأن ترفع الأذى وتدفع عنا كل شر وفتنة
وهولا عظيما ضاق عن وسعه الفضا وعم وطم فوق كل عظيمة
وحارت به عقول الخلق فيه وأذهلت ودامت عليهم كربة بعد كربة
وعندك تفريج الهموم وتفريق الهموم وغفران الذنوب وزلة
عصينا عصينا فاغفر فإننا ذنبنا وعظم خطايانا وعظم جريرة
ذنوب كأمثال الجبال وتعداد الرمال وكيل البحار الغزيرة

وثقنا بحبل

صورة الصفحة الأولى من الأصل الثاني

حبيب للاله ومصطفاه عليه ازكى الصلاة مع السلام

وآل مع صحاب ما تغنت على الاغصان ساجعة الحمام

وما برق الغوير سرى سحيرا فاشجى روح صب مستهام

وحمد للاله وما قضاه رضيناه ونسال بالدوام

بقاء السر في نسل كرام ويشمل نفعهم كل الانام

ويعظم اجرنا فيه وحسن عزانا في نفوس اهل التمام

وقال رضي الله عنه هذه الوسيلة المعظمه المجربه لتفريج الهموم وكشف الكروب والغموم وكان انشاؤها لما حصل الحصر في بلد تريم من حسين بن هبه المدحي فجعل الله الاجابه وارتحل من تحت شبام هو واقوامه الطغام وفرج الله على المسلمين ببركة منشيها ومن نظر في سلفها نفع الله بهم وكان نظمها اخر شهر الحجه سنة ١١٧١ ولعلها آخر منظوم للسيدي محمد نفع الله به وقد ختمنا كلام المنظوم بها لما فيها من التوكل برسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدانا في اوله بذلك قال نفع الله به وامدنا في الدارين بامداداته في خير ولطف وعافيه اللهم آمين

سالتك يا مولاي تفريج كربتي وتفريق احزاني ودفع بليه

سالتك يا مولاي يا كاشف البلا ومهدي ومسدي كل خير ونعمة

سالتك يا مولاي غوثا معجلا سريعا سريعا لا يوخر لحظة

صورة الصفحة الأولى من الأصل الثالث

الوسيلةُ المعظَّمة
المجرَّبةُ لتفريـج الهموم
وكشفِ الكروبِ والغموم

تائيةٌ توسليةٌ مباركةٌ من نظم
الإمام العارف بالله محمد بن زين بن سُمَيط
١١٠٨-١١٧٢هـ
رحمه الله تعالى

قدّم لها بمقدمةٍ تاريخيةٍ مهمّة

محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب

بسم الله الرحمن الرحيم

سألتُك يا مولايَ تفريجَ كُرْبتي		وتفريقَ أحزاني ودفْعَ بليّتي
سألتُك يا مولايَ يا كاشفَ البَلَا		ومُهْدِي ومُسْدِي كلِّ خيرٍ ونعمةِ
سألتُك يا مولايَ غَوْثاً مُعَجَّلاً		سريعاً سريعاً لا يؤخَّرُ لحظةِ
سألتُكَ يا مولايَ يا خيرَ مَن دُعِي		سألتُكَ يا مولايَ كشفَ الرَّزِيّةِ
سألتُكَ يا مولايَ أن تدفَعَ[1] الأذى		وتدفَعَ عنّا كلَّ شرٍّ وفتنةِ
وهَوْلاً عظيماً ضاقَ عن وُسْعِهِ الفَضَا		وعمَّ وطمَّ فوقَ كلِّ عظيمةِ
وحارَتْ عقولُ الخَلْقِ فيهِ وأُذهِلَتْ		ودامتْ عليهم كُرْبةٌ بعدَ كُرْبةِ
وعندَك تفريجُ الهمومِ وتفريقُ الـ		ـغُمُومِ وغُفْرانُ الذُّنوبِ وزَلّةِ
عصَيْنا عصَيْنا فاعترَفْنا بذنْبِنا		وعُظْمِ خطايانا وعُظْمِ جَرِيرةِ
ذنوبٌ كأمثالِ الجبالِ وتَعدادِ الرِّمالِ ومِكْيالِ البحارِ الغَزيرةِ
وثِقْنا بحبل العفْو منكَ وسَتْرِكَ الـ		ـجميلِ علينا والأيادي القديمةِ
فها عبدُكَ المسكينُ أدرِكْهُ إنّهُ		أتى هارباً مِن ذنْبِهِ والخَطيّةِ

(١) في (ب): «ترفع».

وفرِّقْ[1] جيوشَ العسْرِ عنّا وعافِنا … نعمْ واعفُ عنّا قبلَ هتْكِ السَّتِيرةِ
فإنّـــكَ مَوْلانـــا وإنّـــكَ ربُّنـــا … وســيّدُنا والــذُّخْرُ في كــلِّ حالــةِ

* * *

فيــا ربِّ يــا رحمــنُ شــفِّعْ نبيَّنــا … رســولَكَ فينــا واكْــفِ كــلَّ مُلِمّــةِ
هُوَ الغَوْثُ كلُّ الغَوثِ للخَلْقِ رحمةٌ … هُوَ المصطفى المختــارُ خــيرُ البَرِيّــةِ
أَلَا يــا رســولَ الله يا سيِّدَ الورى … وسامي الذُّرى الماحي لكلِّ دُجُنّــةِ
أَلَا يــا رســولَ الله غَوْثــاً ورحمــةً … لِــذي كُرْبــةٍ مُــسْوَدَّةٍ مُدْلَــهِمَّةِ
أَلَا يــا رســولَ الله نَجْــدةَ ماجــدٍ … أَلَا يــا رســولَ الله هيّــا بغــارةِ
أَلَا يــا رســولَ الله عبــدُكَ بالفِنــا … ضــعيفٌ فقــيرٌ جُــدْ عليــهِ بنظْــرةِ
أَلَا يــا رســولَ الله يا ملْجَأَ الوَرى … ويــا غَــوْثَهم في دفْــعِ كــلِّ مُــصيبةِ
أَلَا يـــا رسولَ الله أنــتَ لها فمَــنْ … وقد أمَّكَ الرّاجُونَ مِن كلِّ وِجهــةِ
ألا يــا رســولَ الله أنــتَ ملاذُنــا … وعُــدّتَنا والــذُّخْرُ يــا خــيرَ عُــدّةِ
أَلَا يــا رســولَ الله أنــتَ حبيبُنــا … وجُنّــتُنا عنــدَ الخطــوبِ الــمُهمّةِ
أَلَا يــا رســولَ الله أنــتَ إمامُنــا … ومتبوعُنــا يــا كنْــزَنا والــخَبِيّـــةِ
إليكَ إليكَ الأمــرُ في كــلِّ مــا دَهَــا … ومــا قــد عَرَانــا مِــن بــلاءٍ وشِــدّةِ
أَلَا يا رسولَ الله نفْــسي لــك الفِــدا … وقد ضاقَ ذَرْعي مِن أمورٍ عظيمــةِ

---

(١) في (ب): «وفرِّجْ».

فأنتَ لها نِعمَ الغِيَاثُ فمَن لها ... وأنت[١] ـ منَ الرحمن ـ أكبرُ نعمةِ
فيا رحمةً مُهداةُ للخَلْقِ[٢] كلِّهم ... وقد عَمَّمَ اللهُ البَرَايا برحمةِ
أغِثْنا بهِ يا ربَّنا وبصَحْبِهِ ... وسائرِ أهلِ البيتِ بيتِ النبوّةِ

* * *

وخُصَّ الإمام المرتضى[٣] ضَيْغَمَ الوغى ... عليَّ العُلَا الجالي لكلِّ مُلِمّةِ
وخيرَ نساءِ العالمينَ وابنةَ الرَّسُولِ وأُمَّ الطّاهرينَ الأئمّةِ
وسِبْطَيْ رسولِ الله صفْوةَ ربِّنا ... وخِيرةَ خلْقِ الله مِن خيرِ أُمّةِ
إلهي بزينِ العابدينَ تَوسُّلي ... لتكشِفَ عنّي ضُرَّ كلِّ بليّةِ
إلهي توسَّلْنا إليكَ بباقرِ الـ ... ـعلومِ إمامِ الدِّينِ مِن غيرِ مِرْيَةِ
وبالصادقِ الصدِّيقِ غوْثِ الورى بهِ ... إليكَ توسَّلْنا جِلا كلِّ ظُلمةِ
وبابْنَيْهِ: موسى والعُرَيْضيِّ والرِّضا ... محمَّدْ وعيسى دفْعُ كلِّ كريهةِ
فيا ربِّ يا رحمنُ غِثْنا بأحمدٍ ... وذاكَ ابنُ عيسى غوثُ كلِّ الخليقةِ
وبابنِهْ عُبيدِ الله .. شيخٍ معظَّمٍ ... وعَلَوي ابنِهْ يا ربِّ حقِّقْ وسيلتي
كذاكَ جمالُ الدِّينِ يتلو أباً لهُ ... كذا عَلَويٌّ نِعْمَ صافي السريرةِ

---

(١) في (ب) زيادة هنا هي كلمة «سواكَ»!
(٢) في (ب) و(جـ): «للخلق مهداة» بتقديم وتأخير.
(٣) في (ب): «المجتبى».

جديـــدٌ وبَــصْريٌّ وســالمٌ ابنُــهُ ... كذا الشيخُ نورُ الدِّينِ بدْرُ الدُّجُنّـةِ

إلهــي تَـدارَكْنا وغِثْنـا وكـنْ لنـا ... بـصاحبِ مِرْبـاطٍ إمـامِ الأئمّـةِ

كـذا علـوي ابنُـهُ مـع إخـوةٍ لـهُ ... بهِـمْ ربَّنـا اكـشِفْ هَـمَّ كـلِّ بليّـةِ

إلهــيْ توسَّــلْنا بــشيخِ شــيوخِنا ... وعُـدّتِنا والـذُّخرِ يـا خـيرَ عُـدّةِ

وأستاذِ كلِّ الخلْـقِ في كـلِّ موقـفٍ ... تجمَّعَ فيهِ الفضلُ مِـن كـلِّ وِجهـةِ

غِيـاثٍ للمهـوفٍ ومَلجَـا لِــمُلْتَجٍ ... مقــدَّمِ أهــلِ الله في كــلِّ حــضْرةِ

❋ ❋ ❋

فيـا غوْثَ كلِّ الخَلْـقِ هيّـا بغـارةٍ ... وأنــتَ لهـا في كــلِّ ضَرّا مُـضِرّةِ

وسـيلتُنا العظمـى إلى الله أنـتَ يـا ... غِياثَ[1] الورى في كلِّ هوْلٍ وشدّةِ

فيـا[2] عَلَـويَّ الـسِّرِّ هيّـا بغــارةٍ ... فأنـتَ لهـا نِعـمَ الغِيـاثُ لِكُرْبـةِ

وإبنَــيْهِ عبــدِ الله ثُــمَّ عَلِــيِّهِمْ ... سريعـاً سريعـاً غـارةً بعـدَ غـارةِ

ويـا غوْثَنـا عنـدَ الخُطـوبِ محمّـدٌ ... وذاكَ جمـالُ الـدِّينِ مَـولى الدَّوِيلـةِ

ويـاشيخُ سقّافَ العُلَا سيِّدَ الـمَلَا ... وشيخَ الـشيوخِ العـارِفينَ الأئمـةِ

فقُمْ يا شريفَ القـومِ قوْمـةَ مُنجِـدٍ ... وفُلَّ جيوشَ العُـسْرِ منـكَ بِنجْـدةِ

❋ ❋ ❋

---

(١) في (ب): «إمام».

(٢) في (ب): «ويا».

سألتُكَ بالـمِحـضارِ يـا ربِّ نجِّنـا ... مـنَ الـشرِّ والأشرارِ وادفَـعْ أذيّـةِ
فيـا سـيّدَ الـساداتِ هيّـا بغـارةٍ ... سريعـاً سريعـاً لا تُنـاطُ بمُـهْلةِ
ويا شيخُ عبدَ اللهِ يا ملجَأَ الـورى ... ويا غَوْثَ كلِّ الخَلْقِ بحـرَ الحقيقـةِ
سـألتُكَ يـا ربِّ بـهِ وبـصِنْوِهِ ... هُوَ الشيخُ نورُ الدِّين طَوْدُ الشريعةِ
أغِثْنا بفخـرِ الـدِّينِ غَوثـاً معجَّـلاً ... كذاكَ وَجِيـهِ الـدِّينِ نـورِ الـسَّريرةِ
وصـاحبِ عَيْدِيـدَ المـلاذِ محمّـدٍ ... كذاكَ جمالِ الدِّينِ صـاحبِ روغـةِ
بإبنِ[1] الحسينِ العيدروسِ ونجلِهِ ... توسَّـلْ بـهِ تُعْـطَ المـرادَ وبُغْيـةِ
كذاكَ شِهابُ الدِّينِ شـيخٌ معظَّـمٌ ... أبو[2] جَحْدَبٍ سَلْ منهُ كشْفَ الرَّزِيّةِ
وبالشيخِ أبي بكر ابنِ سـالمٍ فخْرِنـا ... أغِثْنـا إلهـي ثُـمّ أجْـزِلْ عَطيّـةِ
سـألتُكَ يـا ربِّ بـصاحبِ شِـعْبِنا ... وصاحبِ وَهْطٍ أنْ تُسكِّنَ رَوْعتـي
وسَلْ بشهابِ الدِّينِ غَوثاً معجَّـلاً ... كذاكَ عفيفِ الدِّينِ مَوْلى الـشُّبَيكةِ
سـألتُكَ يـا مَـولى المـوالي بـشيخِنا ... وقُـدوتِنا الحـدّادِ غَـوثِ الخليقـةِ
فهيّا بغـارَهْ سـيّدي تكـشفُ الـبَلَا ... وتـدفَعُ عنّـا كـلَّ ضُرٍّ وشِـدّةِ
فأنتَ لها يا ابنَ عَلْـوِيْ فقُـلْ أنـا[3] ... لهـا، مَـن لهـا غـيري بعـزْمٍ وهِمّـةِ

---

(١) في (ب): «وبابن» بوصل الهمز، والواو.
(٢) في (أ) و(جـ): «أبا».
(٣) هذه التصويبة من (ب)، وفي النسخة المعتمدة: «فقل لنا».

فقد ضاقتِ الأحوالُ مِن كلِّ جانبٍ وناختْ بكَ الآمالُ مِن كلِّ وِجهةِ
ويـا أحمـدَ الحـبرُ المعظَّـمُ قـدْرُهُ وذاكَ ابنُ زيْنٍ نُورُ قلبي ومُقْلتي
سألتُـكَ يا ربِّ بهمْ تكشفُ البَلَا وتُـسْدِي إلينا كـلَّ خيرٍ ونعمةِ

❊ ❊ ❊

فيا أهلَ بيتِ المصطفى يا أُولي الوفا ويا خيرَ خلْقِ الله جُودُوا بنظرةِ
ويـا آلَ عَلْويٍّ ويـا سادةَ الـورى أُسودَ الشّرى يا غوثَ كلِّ الخليقةِ
فأنتم حُماةُ الجارِ مِن رَهَقِ البَلَا بغيرِ حُسامٍ بل بسَيفِ العزيمةِ
بكمْ أصبحَ الوادي أنيساً وعامراً أميناً ومحمِيّاً فهَيّا بغارةِ
ويا غارةَ الرحمنِ جُدِّي بسُرعةٍ إلينا وحُلِّي عَقْدَ كلِّ مُلِمّةِ
وصَلِّ إلهي كلَّ وقتٍ وساعةٍ على خيرِ مبعوثٍ إلى خيرِ أُمّةِ
محمّدٍ المخصُوصِ منكَ بفضلِكَ الـ ـعظيمِ وإنزالِ الكتابِ وحِكْمةِ
وآلٍ وأصحابٍ ومَن كان تابعاً وأنصارِهِ أهلِ القلوبِ الزكيّةِ[١]

❊ ❊ ❊

(١) هذا البيت ليس في (ب).

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة